مَعْنَى التَّعْرِيب

في المزهر للسيوطي عرض قضية الأسماء المعرّبة، وحدد تعريف التعريب:
يقول السيوطي: المعرّب: هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها.

واستند إلى هذا الشرح إلى رأي الجوهريّ في «الصحاح» حيث قال: «تعريب الاسم الأعجمي: أن يتفوّه به العرب على منهاجها، تقول: عرّبته العرب وأعربته أيضاً[1]».

وأوضح من هذين التعريفين ما ذكره أبو حَيّان الأندلسّي في «الارتشاف» حينما وضع النقاط على الحروف في قضية التعريب أو المعرّبات، قال: «الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم غيرته العرب، وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع نحو: درهم، وبَهْرج[2].
٢ ـ قسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو: آجرّ، وسِفسير[3].
٣ ـ وقسم تركوه غير مغير، فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعدّ منها، وما ألحقوه بها عدّ منها.

مثال الأول: خُراسان، ولا يثبت فُعالان، ومثال الثاني: خُرَّم[4] ألحقوه بُسلَّم[5].

---

(١) المزهر ١/ ٢٦٨.
(٢) البهرج: كل رديء من الدراهم وغيرها.
(٣) في اللسان: السفسير: فارس معرب.
(٤) الخرم: نبات الشجر، وعيش خُرّم: أي ناعم.
(٥) المزهر ١/ ٢٦٩، ٢٧٠.

الكلمات الأعجمية والفتوحات الإسلامية

بينت فيما سبق أن ما أخذته اللغة العربية في العصر الجاهلي من الكلمات الأجنبية قليل جداً، بل إن الكلمات الوافدة كانت تعد على الأصابع، ولكن حينما جاء الإسلام لكل الأجناس، ولكل الأمم تغير الوضع، ودخل الناس في دين الله أفواجاً واختلطوا بالعرب، وحطّمت حواجز الجنس، وذابت فوارق العنصرية، وأصبح المسلمون عربهم وعجمهم بناء واحداً، وأمة واحدة.

ومن الطبعيّ أن تتسرب المفردات الأعجمية في هذه الفترة من التاريخ إلى اللغة العربية، ولو نظرنا إلى هذه الكلمات أو المفردات التي تسللت إلى ساحة اللغة العربية نجدها محصورة في الأشياء الماديّة التي لم يكن للعرب عهد بها قبل الفتوحات الإسلامية، لأن هذه الأشياء بمسمّياتها لم تكن في بيئتهم حتى يطلقوا عليها أسماء عربيّة تتفق مع الموازين، وتتلاءم مع الصّيغ، ولو وجدت لما احتاجوا إلى مسميات أجنبية، لأننا نعلم أن كثيراً من الحيوانات التي توجد في بيئتهم والأواني التي تستعمل في منازلهم، والآلات التي يحتاجون إليها في حياتهم أطلقوا على كل منها مسميات متعدّدة، تدل على وفرة لفظية، وحصيلة من المفردات التي لا يستطاع حصرها.

ومن هنا تقبّلوا هذه المفردات، لأنها لمسميات لا توجد في بيئتهم، وقد حدد أستاذنا الدكتور/ عبد الواحد وافي بعض الكلمات التي وردت إلى العربية من الفارسية ومن اليونانية ومن السريانية والعبرية والحبشيّة.

قال ما نصه: «ومن أشهر المفردات التي انتقلت من الفارسيّة إلى العربية في عصور الاحتجاج أسماء بعض الآنية، والمعادن، والأحجار الكريمة وألوان الخبز والطهي والأفاويه والرياحين، والطيب، والمنتجات الزراعية والصناعية والشئون الحربيّة التي اشتهر بها الفرس[1]».

(١) فقه اللغة/ ٢٠٠.

ومن أسماء الآنية: الكوز ـ الإبريق ـ الطشت أو الطست ـ والخِوان ـ والطَّبق ـ والقصعة.

ومن أسماء الأقمشة: الخز ـ والإبريسم ـ والدِّيباج ـ والسُّندس ـ والإستبرق.

ومن أسماء الجواهر: الياقوت ـ الفيروزج ـ البلور.

ومن أسماء الخبز: السميز ـ الكعك ـ الجردق ـ والفالوذج من الحلوى.

ومن أسماء الأفاويه: الدار صيني ـ الفلفل ـ القرفة ـ الزنجبيل.

ومن أسماء الرياحين: المسك ـ العنبر ـ الكافور ـ الصندل ـ الجوز ـ اللوز.

ـ ما ورد من اليونانية:

يقول الدكتور عبد الواحد وافي ما نصه:

ومن أشهر ما انتقل إلى العربية في عصور الاحتجاج من اليونانية عن طريق مباشر أو عن طريق السريانية أسماء بعض آلات الرصد، والجراحة، وبعض مصطلحات الطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية، وأسماء بعض المعادن والوظائف، والمنشآت المعمارية، وأدوات البناء والموازين والأمتعة.

ومن أمثلة هذه الكلمات أو المفردات:

البطريق ـ القنطرة ـ الفردوس ـ القسطاس ـ القنطار ـ البطاقة ـ السجنجل: (المرآة) ـ الترياق: (دواء السموم)[1].

ـ ما ورد من السريانية والعبرية:

اليم ـ الطور ـ الرّبانيون ـ طه ـ إبراهيم ـ إسماعيل ـ شراحيل.

ـ ما ورد من الحبشية في عصور الاحتجاج:

المشكاة ـ الكِفْل ـ الهرج ـ المِنْبر ـ الأرائك[2].

---

(١) انظر فقه اللغة/ ٢٠١.

(٢) انظر فقه اللغة/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

الجاحظ والكلمات الدخيلة

ـ الجاحظ يسجل ظواهر الكلمات الدخيلة في اللغة العربية، والتراكيب المحرفة:

لم يكن الجاحظ بعيداً عن هذه التيارات اللغوية التي حاولت أن تمس بناء اللغة العربية الفصيحة، فقد رأى بعينه، وسمع بأذنه الكثير من الكلمات الوافدة، والتراكيب الفاسدة التي هزت لسان العربية الفصيح.

وإلى جانب ذلك محاولة العجم تقليد العرب في النطق بلغتهم، ولكن ألسنتهم التي طبعت على لغاتهم الأصيلة لم تسعفهم في أن ينطقوا العربية نطقاً صحيحاً.

وقد سجل الجاحظ هذين الجانبين في كتابه: «البيان والتبيين» لأنه رجل يستقبل كل ما يحدث في مجتمعه، ويسجله بريشة الأديب، فهو جهاز استقبال لهزات مجتمعه، وفي الوقت نفسه يحلّل ما يستقبل، ويشرح ما يسجل.

فعن الكلمات الوافدة يقول:

«ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون البطيخ: «الخِرْبز»، ويسمون السِّميط[1]: «الرِّزْدَق».

ويسمون المَصوص[2]: «المَزُور». ويسمون الشُّطرنج: «الأَشْتَرَنج» في غير ذلك من الأسماء.

وكذلك أهل الكوفة، فإنهم يسمّون المِسْحَاة: «بال» وبال بالفارسية...

---

(١) في هامش البيان والتبيين: السميط كشريف: الآجرُّ القائم بعضه على بعض، والرزدق فارسي معرب، وأصله بالفارسية: رسته، ومعناه: السطر والصف من النخل وغيره.

(٢) المصوص: لحم ينقع في الخل ويطبخ.

ويسمي أهل الكوفة الحَوْك[1]: «الباذَروج»، والباذَروج بالفارسية، والحوك كلمة عربية، وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مربّعة، ويسميها أهل الكوفة: «الجهار سوك». ويسمون القِثّاء: «خياراً»، والخيار بالفارسية، ويسمون المجذوم: «وَيَذِيْ» بالفارسية[2].

ومن التراكيب الفاسدة التي جرت على ألسنة الأعاجم في عصور الاحتجاج ما ذكره الجاحظ «أن أبا الجهير الخراساني النّخّاس قال له الحجاج: أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان؟ قال: «شريكاننا في هوازها، وشريكاننا في مداينها، وكما تجيء نكون».

قال الحجاج: ما تقول ويلك؟ فقال بعض من كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك: يقول: شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن يبعثون إلينا بهذه الدّواب، فنحن نبيعها على وجوهها».

ويضيف الجاحظ حكاية أخرى في تحريف التركيب اللغوي على ألسنة الأعاجم وهي:

وقلت لخادم لي: في أي صناعة اسلموا هذا الغُلاَم؟ قال: في أصحاب سِنْد نِعال «يريد في أصحاب النّعال السّندية[3]».

فالجاحظ بذكره هذه التراكيب يتحدث عن ظاهرة تسمى في فقه اللغة أو علم اللغة: ظاهرة التأثر والتأثير.

فقد تأثرت لغة الكوفة لقربها من الفرس، ولاختلاطها بهم باللغة الفارسيّة فدخلها الكثير من الكلمات الأعجمية.

وأثرت اللغة العربيّة في لغة هؤلاء الفرس حيث حاولوا أن يتكلموا بها، ويسيروا على نهجها، ولكن خانهم التوفيق، فالكلمات عربية، والتراكيب فارسية.

وحتى الكلمات العربيّة لم تسلم من التحريف في أصواتها عندما ينطق بها هؤلاء الأعاجم.

(١) الحوك: ريحانة معروفة.

(٢) البيان والتبيين ١/ ١٩ - ٢٠.

(٣) البيان والتبيين ١/ ١٦١، ١٦٢.

كلمات أعجمية لها نظائر في مفردات اللغة العربية

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: إذا كانت بعض الكلمات الأعجمية التي تسربت إلى اللغة العربية لها نظائر في مفردات اللغة فَلِمَ إذاً تمد اللغة يدها إلى الكلمات الأعجمية؟

قلت فيما سبق إنّ الاحتكاك اللغوي بين العرب وغيرهم منذ العصر الجاهلي كان له أثر كبير في تقبّل هذه الكلمات الأعجمية مع وجود نظائر عربية لها والاحتكاك اللغوي يؤثر تأثيراً كبيراً في الكلمات الوافدة، فهي لا تؤخذ بشكلها وصورتها التي كانت لها في لغتها الأصيلة، وإنما تؤخذ بعد تعديل وتطويع لتدخل في أبنية اللغة العربية، وهذا التّعديل يقرّبها من اللغة العربية في الموازين والصيغ وبذلك تبدو قريبة للغة التي نقلت إليها، وفي هذه الحالة لا ضير من استعمالها ما دامت الموازين مستقيمة، والصّيغ متقاربة.

ويبين أستاذنا الدكتور/ عبد الواحد وافي السبب في لجوء اللغة إلى استعمال كلمات أعجمية مع وجود نظائر لها في لغة العرب فيقول:

«ولعل اتصال هذه المفردات وما إليها بأمور اختص بها الأعاجم أو برّزوا فيها أو امتازوا بإنتاجها، وكثرة استخدامها.

أو كان ارتباطها بمظاهر حضارتهم أوثق من ارتباطها بمظاهر الحضارة العربية لعل ذلك وما إليه كان له بعض الأثر في انتقال هذه المفردات إلى ألسنة العرب وتغلّبها على نظائرها في لغتهم.

ولعل خِفّة بعضها، وثقل نظائرها العربية على اللسان كان لهما كذلك شيء من الأثر في انتقالها وتغلبها»[1].

---

(١) فقه اللغة/ ١٩٦ - ١٩٧.

وقد ذكر السيوطي طائفة من الأسماء المعربة التي لها مسميات في لسان العرب:

فمن ذلك:

- الإبريق: في لغة العرب يسمى: التأمورة.
- الهاوون: في لغة العرب يسمى: المهراس.
- الطاجن: في لغة العرب يسمى: المقلى.
- المِسْك: في لغة العرب يسمى: المشموم.
- الجاسوس: في لغة العرب يسمى: الناطس.
- الياسمين: في لغة العرب يسمى: السَّمْسق.
- السكر: في لغة العرب يسمى: المِبْرت بلغة أهل اليمن.
- الباذنجان: في لغة العرب يسمى: الأتب.
- الرصاص: في لغة العرب يسمى: الصَّرَفان.
- الخيار: في لغة العرب يسمى: القَثّد[1].

(١) المزهر ١/ ٢٨٣ - ٢٨٤.

كلمات عربية الأصل وليست دخيلة

حمل لواء الدفاع عن بعض الكلمات العربية التي أطلق عليها بعض اللغويين أنها دخيلة وليست بعربية الأستاذ عبد الحق فاضل في بحثه القيم: «دخيل أم أثيل[1]» نقد الباحث الأب رفائيل نخلة اليسوعي في كتابه «غرائب اللغة العربية» حيث ذكر أن اللغة العربية أخذت من غيرها كلمات بلغت ٢٥٠٣ كلمات.

وقد اعتمد الناقد في رده على الأب رفائيل نخلة على أربعة أسس:

الأساس الأول: إن بعض الألفاظ لها في العربية أكثر من صيغة واحدة وقد أورد المؤلف منها صيغتين أو أكثر فازداد بذلك عدد مفردات قائمة الدخيل مثل: عمد ـ معمدان ـ معمودية.

الأساس الثاني: إن الكثير من الألفاظ الدخيلة كان استعمالها محصوراً في فئات خاصة من الناس من أرباب المهن على الأغلب كالأدوية وبعض الأدوات.

الأساس الثالث: إن أكثر الألفاظ التي دخلت العربية من أسماء الأطعمة والثياب، والآنية والأدوية والأدوات ونحوها مما كان يعرفه عامة الناس قد بطل استعمالها الآن، وزالت أسماؤها، ووجودها حتى اليوم في المعاجم العربية ليس له إلا قيمته الأثرية، فيمكننا القول: إنها دخلت العربية، وخرجت منها.

الأساس الرابع: إن الكثير من هذه الألفاظ عربي أثيل اقتبسته اللغات الأخرى من العربية.

وقد أورد الباحث عدة كلمات يظن بعض اللغويين أنها أعجمية والحقيقة أنها عربيّة، من ذلك على سبيل المثال:

---

(١) نشر في مجلة اللسان، المجلد السابع، الجزء الأول/ ١٨.

١ ـ الميزاب :

قال الناقد: الميزاب عربية خالصة أثلُها: (أزب الماء) أي جرى ومن الطبعيّ على هذا أن يكون: «المئزاب»: مجرى الماء كما ورد في المعاجم العربية. وكثيراً ما يقال: إن الميزاب من الفارسية لوجود كلمة «آب» في آخره لكننا نستطيع أن نقول: إن العربية هي أصل الميزاب.

٢ ـ البَرَص: زنة المرض:

يقول المؤلف رفائيل نخلة: إنها من الآراميّة (برصو) = (Barso).

قال الناقد: وأول دليل على أن الكلمة آثل في العربية منها في الآرامية هو أن البرص كلمة لونية، وهي تعني في العربية المرض الذي يجعل في الجلد بقعاً بيضاء.

والكلمة في العربية أخوات: بَرج ـ بَرث ـ بَرش ـ بزَغ ـ برق. وهذه الكلمات تعني وضوح اللون وسطوعه.

وقد تناول الباحث تأثيل عدد من الكلمات الأخرى في بحثه القيم مثل: الزّاوية ـ الضّرع ـ الطحين ـ القِثّاء ـ القِسْط ـ القَصْر ـ الكرخ ـ هيكل[1].

وفي كُناشة أستاذنا الأستاذ عبد السلام هارون ألفاظ عربية حضارية نستطيع أن نضعها مكان الألفاظ الأجنبية الوافدة، من ذلك:

١ ـ كلمة المُوجّه:

يقول: عرف العرب قديماً تلك الثياب ذوات الوجهين، وجه يحمل لوناً خاصاً وخلفه وجه آخر يحمل لوناً، وهو ما يطلق عليه العامة ألفاظاً دخيلة: «دبل فاس» أو «دبل فيس»، ولغتنا ذات الثراء المكنوز تسمّيه في كل يسر الموجّه «جاء في اللسان»: «وجه»: وكساء موجه أي ذو وجهين[2].

(١) انظر مجلة اللسان العربيّ ـ المجلد السابع، الجزء الأول، ١٨ ـ ٣١.

(٢) الكناشة/ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥.

٢ ـ الجُمّة :

هي لبس الشعر المستعار ، وهو ما تسميه باللغة الحديثة : «الباروكة» قال الأستاذ هارون : «إنما هذه بضاعتنا ردت إلينا ، وكان من أسلافنا في عهد قديم جداً من يلبسها وكانت تسمى بالعربية الفصيحة : الجُمّة .

ثم يسوق خبراً ورد في الأغاني في وصف المغني ابن سريح الذي يعتبر أول من ضرب بالعود في الغناء العربي في مكة ـ ، قال في وصفه : «إنّه بلغ خمساً وثمانين سنة فصلع ، فكان يلبس جُمّةً مركّبة . وأصل الجمة : مجتمع شعر الرأس ، وما سقط منه على المنكبين . وفي الحديث : «لعن الله المجمّلات من النساء وهن اللواتي يتخذن شعورهن جُمّةً تشبُّهاً بالرجال[1]» .

٣ ـ الأونطة :

«الأونطة كما يقول الأستاذ هارون كلمة دخيلة لِكَسْب المعيشة ويقولها إخواننا بالعراق : الهونطة» ويقولون : أخذوا بالهونطة بمعنى التحايل لكسب المعيشة ، يضرب لمن ينال الشيء بالسفاهة والاغتصاب .

ويقابله في العربية : أخذه أخذ سِبُعة ، وهي اللبؤة ، أو اسم رجل عرف بالشدة وهو : سَبُعة بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء[2] .

٤ ـ الصاري : كلمة عربية وليست دخيلة :

قال الأستاذ هارون : زعم ياقوت في معجم البلدان[3] : أن الصاري هو شراع السفينة بلغة تجار المصريين ، وهذا وهم منه ، فإن الصاري بمعنى الشراع عربية أصيلة قديمة .

---

(١) المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٢) الكناشة/ ١١٩ .

(٣) معجم البلدان ٥/ ٣٣٢ .

وفي اللسان: وصاري السفينة: الخشبة المعترضة في وسطها. وفي حديث ابن الزبير في بناء البيت: فأمر بصوار فنصبت حول الكعبة هي جمع الصاري، وهو دَقَل السفينة الذي ينصب في وسطها قائماً، ويكون عليه الشراع[1].

(١) الكناشة/ ١١٥.